التعارف بين المسلمين وغيرهم

إعداد الدارسة
هنادي طه حسن عبيد
طالبة بمرحلة الدكتوراه بتخصص الثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى

العام الجامعي
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

إنَّ الحمد للهِ، نحمدهُ ونستعينه ونستَغفره، ونتُوب إليهِ، ونعوذُ باللَّه منْ شرورِ أَنْفسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهدُ أن لاَ إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحَدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد خَلقَ اللهُ الإنسانَ اجتماعيًّا بطبعِهِ، يَأْنَسُ بالآخرين، ويَسعَدُ بوجودهم، لكن مع تطوُّر الزمانِ أصبحَ البشرُ يميلون إلى الاقتصارِ على الاحتكاكِ بمَن يُشَابهُهُم ويتفقُ معهم، أما مَن يخالفهم فإنَّ علاقتَهم به تكادُ تكون ضعيفةً متذبذبةً متصارعةً. وقد سعى عددٌ من الفلاسفةِ وعلماءِ الاجتماع إلى محاولةِ إيجادِ عددٍ من الحلولِ لزيادةِ التواصل بين البشر، لكنَّ محاولاتِهم لم تنجح. ولو عادوا إلى القرآن لوجدوا فيه أفضل الطرق التي استخدمها الرسول ﷺ، واستطاع من خلالها أن يجمع الأمة، وأن يُؤلِّف بين قلوب أتباعه على اختلاف أجناسهم وألوانهم. ومن هذه الطرق ما ورد في قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** الحجرات: ١٣.

لذا سأحاول في هذه الورقات أن أعرف بهذه الوسيلة ، وأوضح أهميتها ، والمعوقات التي تقف في وجه الاستفادة منها .

المبحث الأول: المقصود بالتعارف بين المسلمين وغيرهم :

المطلب الأول: المقصود بالتعارف في اللغة:

التعارف مزيج من التعرف والتعريف، وهو مصدر من عرف يقال عَرَفَه يَعْرِفُه مَعْرِفَةً، وعِرْفاناً وعِرْفَةً بالكسر أي: علمه. قال الراغب: المَعْرِفةُ والعِرْفانُ: إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، فهي أخص من العلم، ويضاده الإنكار[١].

ويقال أيضًا تعارفَ و تعارفَ على يَتعارف، تعارُفًا، فهو مُتعارِف، والمفعول مُتعارَف عليه.

ومعنى تعارفوا: أي عرف بعضهم بعضًا، و تعارف الرجلان: تحقق كلاهما من الآخر وعرفه.

واستعرف أي أتاه متنكرًا ثم عرف بنفسه ويقال استعرف إليه.

وعرف فلان على القوم عرافة: أي دبر أمرهم وقام بسياستهم. و عرف الشيء عرفانًا وَمَعْرِفَة أدركه بحاسة من حواسه فهو عارِف وعريف[٢].

واعْتَرَفَ إليَّ: أخبرني باسمه وشأنه كأنّه أعلمه به[٣].

المطلب الثاني: المقصود بالتعارف في الاصطلاح:

عرف التعارف الحضاري بأنه نسق معرفي قيمي يتجاوز الذات للوصول إلى الآخر، وهو يهدف التكاتف حسب المواهب والقدرات المتنوعة للنهوض بالعرف الحسن والمعرفة الرشيدة ، وفاء بالحاجات وتعاونًا على التكاليف والأعباء [٤].

كما عرف بأنه مشروع مستقبلي يستهدف مجاوزة حال النفور والحرب الخفية القائمة اليوم، ويتطلع إلى غد قوامه الحوار والتفاهم والسلام ، وبالتالي إرساء القواعد المكينة لمجتمع إنساني تعددي، فالأمر يتعلق بتشييد صرح جديد، وتأسيس نظر جديد، مغاير لكثير من الأفكار السائدة، والنظريات المتداولة في فهم الإنسان.[٥]

وعرف أيضًا بأنه: مبدأ إنساني حضاري سام، يهدف إلى منع النزاعات والصراعات ، وتقريب الأفكار والمسافات ونسج أوصار التعاون والتفاهم وبناء أسس الحوار[٦].

ولا أتفق مع هذه التعريفات فالتعارف ليس نظرة جديدة أنشأت كردة فعل على الحروب بل إن قواعدها ومفهومها موجودة منذ نزول القرآن وظهور تعاليم هذا الدين وسأوضح ذلك بالتفصيل في ثنايا عرض البحث .

وقيل هو: مقصد شرعي وواجب ديني ومطلب حضاري وضرورة أمنية ، اقتضتها طبيعة الخلق الإنساني ، وأكدت عليها مختلف الشرائع الدينية، ودعت إليها خصوصية الحظة الحضارية الراهنة. [٧]

التعريف الإجرائي للتعارف: هو تواصل بين البشرية جمعاء، مع حفظ حقوق الإنسان أثناء تعامله وتواصله مع باقي الأفراد طبقًا للقواعد والأحكام التي شرعها الإسلام بدون النظر إلى الدين أو العرق أو الجنس .

---

(١)تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي ، ج٢٤، ص ١٣٣.

(٢)انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأخرون ، ج٢، ص٥٩٥؛و معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر،ج٢،ص ١٤٨٥.

(٣)تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي ، ج٢٤،ص ١٤٩.

(٤)تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري،ص١١٥

(٥)المرجع السابق، ص٢٤٥.

(٦)من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، حسن عزوزي

(٧)تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري،ص١٢٦

وهناك عدد من المصطلحات التي تقف في وجه تطبيق التعارف بشكل صحيح مثل الانغلاق الحضاري، والتصادم، والصراع الحضاري، لأنها تركز على حضارة معينة أو خصوصية أمة معينة . كما أن العمل بالتعارف يعمل على الحيلولة دون وقوع النزاع والصدام .

وبالمقابل فهناك مصطلحات تتداخل مع مصطلح التعارف ويحدث شيء من اللبس بينهم، ومنها التدافع الحضاري، وحوار الحضارات، والتواصل، والتقارب والتعايش. ولكن التعارف ذو سعة، فهو يشمل أغلب هذه المعاني.

المطلب الثالث: المقصود بالتعارف في القرآن والسنة:

أولًا : المقصود بالتعارف في القرآن:

لقد ورد من مادة (عَرَفَ) في القرآن الكريم ثمانيةٌ وعشرون استعمالًا في واحدٍ وسبعين موضعًا؛ منها الفعل من المعرفة بتصاريف متعددةٍ، والفعل من التعريف والاعتراف، ومنها العُرفُ والمعروف.

أما التعارف فلم يرد إلا في موضعين اثنين: الموضع الأول في سورة يونس، وهو في قوله تعالى: **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ يونس**: ٤٥.

وقد اختلفت أقوال العلماء في تفسير معنى التعارف في الآية؛ فمنهم من قال إنَّ التعارف كان في الدنيا ثم انقطع بالحشر، وقيل: التعارف بمعنى المعرفة؛ أي يعرف كلُّ واحدٍ صاحبه يوم القيامة ولكن لا يكلِّمه، وقيل: إنَّ التعارف عند الخروج من القبور ثم تنقطع عنهم المعرفة، وقيل: إنَّ المشركين يتعارفون ولكن لا أثر لهذه المعرفة يومئذ، وقيل: إنَّ المعرفة هي مجرد الرؤية والتعرُّف الخاطف، وقيل: إنَّ المقصود معرفة الناس بمصائرهم، فيدرك الكفار مدى خسرانهم عند اطِّلاعهم على مصير المؤمنين[٨].

وبعد استعراض هذه التفاسير يتضح أن مقصد هذه الآيات بعيد عن موضوع البحث.

أما الآية الثانية التي ورد فيها لفظ التعارف فهي قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** الحجرات:١٣.

وعند الرجوع إلى فهم المفسرين للآية الكريمة وتفاسيرهم لها نجدهم يربطونها بسبب نزولها، ويُقصِر معظمهم معنى التعارف فيها على مجرد معرفة أنساب وقبائل بعضهم بعضًا، ومن أسباب نزول ما يلي:

قيل نزلت في بلالﷺ المؤذن وأربعة نفر من قريش استهزئوا ببلالﷺ فنزلت الآية لتفضح قولهم.

وقيل نزلت في أبي هند حيث أمر الرسولﷺ بني بياضه أن يزوجوا أباهند امرأة منهم، فقالوا لرسولﷺ الله نزوج بناتنا موالينا فأنزل الله هذه الآية .

وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له :ابن فلانة ،فقال النبيﷺ من الذاكر فلانه؟قال ثابت أنا يارسول الله فعاتبه النبيﷺ ونزلت الآية .[٩]

والصواب ألا نقصر معنى الآيات على سبب النزول، فالمنهج القرآنيُّ يدلُّنا من خلال هذه الآية على أساس التعارف وغاياته. فالآية الكريمة تدفع المسلم وغير المسلم أن يعرف أنَّ الشعوب والأمم جميعًا لها معتقداتٌ وعقائد متغايرةٌ، لكنَّ هذا التباين وهذا الاختلاف لاينفيان مفهوم التعارف أو يَحُدَّان منه، فكلُّ البشرية مخلوقةٌ في أصلها من ذكرٍ وأنثى، وغاية خلق الله لهذه البشرية وانتشارها أن تتعارف فيما بينها، فلا أفضلية لأحدٍ على آخر، والأفضل في المقياس الإلهيِّ هو التقوى، وهذه التقوى تحمل الكثير من

---

(٨)انظر: مفهوم التعارف بين مقصدي الخلق والتشريع،كلثومة دخوش ١٧٨-١٨٠

(٩)انظر: المرجع السابق:ص١٨٢

الدلالات؛ فهي الإيمان، وهي المساواة والعدالة وعدم الظلم أو التكبر، فهي ضدُّ الأنا الفوقية، وضدُّ العنصرية، وضدُّ الإبادة والجرائم والحروب العدائية. (١٠)

وقد أكدت هذه الآية على عددٍ من النقاط عند دعوتها الناس إلى التعارف، فجعلت الخطاب في هذه الآية بصيغة (يأيها الناس) بالرغم من أنَّ السورة مدنيةٌ مما يجعل الخطاب موجَّهٌ إلى الناسِ كافةً؛ بكلِّ تنوعهم وتعددهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، وإلى غير ذلك من تمايزاتٍ ومفارقات. كما ذكَّرتهم بوحدة الأصل الإنساني، والقصد من ذلك أن يُدرك الناس هذه الحقيقة، ويتعاملوا معها كقاعدةٍ إنسانيةٍ وأخلاقيةٍ في نظرتهم لأنفسهم، وفي نظرةكلِّ أمةٍ وحضارةٍ إلى غيرها، كما لو أنهم أسرةٌ واحدةٌ على هذه الأرض. كما تُقِرُّ الآية التنوع الإنسانيَّ فتوضح بأنه حقيقةٌ اجتماعيةٌ وقانونٌ تاريخيٌّ، فلم يذكر القرآن عبارة (شعوبًا وقبائل) إلا في هذه الآية ليوضح أنَّ الله بسط الأرض بهذه المساحة الشاسعة لكي يتوزع الناس فيها شعوبًا وقبائل، ويعمروا هذه الأرض، ويجعلوا منها بيتًا مشتركًا وآمنًا ومتمدِّنًا للجميع. فليس الهدف من التنوع والتوزع هو التفرُّق والتقطُّع بحيث يعيش كلُّ شعبٍ وأمةٍ حضارتها في عزلةٍ وانقطاع، ويتصادموا و يتنازعوا فيما بينهم من أجلِ الثروة والقوة والسيادة.

كما أنَّ الله لم يستخدم في الآية كلمة (ليتحاوروا أو ليتحدوا أو ليتعاونوا)، إلى غير ذلك من كلماتٍ ترتبط بهذا النسق، بل فضَّل عليها كلمة (ليتعارفوا) لأنَّ التعارف يؤسِّس لتلك المفاهيم (الوحدة والحوار والتعاون) ويحدد لها أشكالها ودرجتها وصورتها، وهو الذي يحافظ على فاعليتها وتطورها واستمرارها، كما أنَّ التعارف يُزيل مسببات النزاع والصدام(١١).

كما أن الآية تذكر كذلك بعنصر الزوجية والثنائية والتعددية التي قام ويقوم عليها الكون بكل ما فيه ؛ فلا انفراد ولا استفراد، بل اجتماع وجماعية؛ فتصور الوجود في الإسلام قائم على واحدية وأحدية ووحدانية الله تعالى ، وزوجية وثنائية وتعددية كل ما عداه (١٢)

إنَّ الدعوة إلى التعارف الذي يقوم على المعرفة؛ أحد أسمى دعوات الله للإنسان، والأساس الذي تقوم عليه أخوةٌ إنسانيةٌ تغتني بالاختلاف وتحترمه وتجعل منه قاعدةً للتعاون والتوافق والمحبة(١٣)، فالله عز وجل ذكر التعارف في الآية ليس فقط لمجرد الإقرار والتذكير ، بل هو أرقى وأعلى ، إنه جعل إلهي وإرادة إلهية ، فمن ذا الذي يفكر في محوها أو إلغائها أو تقليصها (١٤).

ثانيًا : التعارف في السنة:

لم ترد كلمة التعارف في السُّنة إلا في حديثين؛ الحديث الأول ما وردَعن قَيْلَةَ بنت مَخْرَمَةَ، أنَّها قالت: «صلَّى بنا رسول اللَّه ﷺ الفجر حين انشقَّ الفجر، والنُّجوم شابِكةٌ في السَّماء، ما تكاد تعارف مع ظلمة اللَّيل، والرِّجال ما تكاد تَعَارَفُ» (١٥).

والحديث الثاني قولُه ﷺ: «الأرواح جنودٌ مجندةٌ، ما تعارَفَ منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف»(١٦)، ففي هذا الحديث وضَّح النبيُّ ﷺالنتيجة لظهور وانتشار التعارف في المجتمع، فالتعارف يستلزم التآلف، بينما التناكر يستلزم التخالف، وبهذا ينبُتُ: التعارف فالتفاعل والتعاون والتكامل. (١٧)

---

(١٠)انظر:منهج التعارف الإنساني في الإسلام، حسن الباش،ص٣١

(١١)تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري،ص٨٢-٨٤.

(١٢)لتعارفوا، يحي رضا جاد، ص٥

(١٣)تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري،ص١١٥.

(١٤)لتعارفوا، يحي رضا جاد، ص٦.

(١٥) مسند أبو داود الطيالسي، أحاديث النساء، مسند عائشة أم المؤمنين،ح ١٧٣٦، الحكم على الحديث: رجاله ثقات.

(١٦) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ح٣٣٣٦

(١٧)انظر: لتعارفوا، يحي رضا جاد، ص٨

المبحث الثاني: نشأة التعارف بين المسلمين وغيرهم :

المطلب الأول: التعارف في عهد النبيﷺ:

إذا كان القرآن قد حدد في آياته أسس التعارف الإنساني وأسبابه ونتائجه، فإن النبيﷺترجم هذه الأسس في الحياة العلمية للنبوة، فقد كتب النبيﷺ عدد من الوثائق التي يضبط من خلالها علاقة التعارف بين أفراد المجتمع المختلفة . فقد بدأ مسيرتهﷺ في المدينة بكتابة وثيقة الدستور الأولى في الإسلام ، فجاءت المعاهدة لتبين طبيعة الأمة المؤلفة من المهاجرين والأنصار، فبين مالهم من حقوق و ما عليهم من واجبات ، ثم تحدثت عن اليهود ومالهم و ما عليهم. فأقرت هذه الوثيقة التعددية الدينية في الرعية والأمة ، وأن اليهود أمة مع المؤمنين لهم دينهم وللمسلمين دينهم.

وليست هذه هي الوثيقة الوحيدة في الإسلام بل كانت فاتحة طريق أمام مرحلة جديدة من مراحل التعارف العلمي بين أمة الإسلام وغيرهم من أصحاب العقائد، فقد كتب النبيﷺ وثيقة عهد لنصارى نجران حفظ فيها حقوقهم ووضح فيها أن لهم ولسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، كما ترجم الرسولﷺ هذه الوثائق وغيرها في سلوكه العملي وسلوك السلمين ، وسمح للصحابة بالهجرة للحبشة وكأنه كان يفتح أبواب جديدة للحوار والتعارف مع الشعوب الأخرى .

ولكي يكتمل المشروع النبوي في تحقيق التعارف فقد بعث النبي ﷺ برسائل عدة إلى ملوك وزعماء عصره ، ففي السنة السادسة للهجرة بعث برسالة إلى النجاشي وبرسالة إلى هرقل قيصر الروم وإلى المقوقس ملك القبط ، وإلى ابني الجلندي حاكمي عمان ، وإلى الحارث الغساني وإلى ملك اليمامة هوذة بن علي الحنفي، وإلى أسقف نجران أبي الحارث، وإلى ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم وإلى سقف الروم في دمشق وإلى ملك القدس يوحنا بن رؤبة، وإلى أكيدر بن عبد الملك ومزوة بن عمرو الجذافي. ولو دققنا النظر في مضمون الرسائل لوجدنا فيها عبر ودلالات ودروسًا في التعارف الإنساني بين أمة الإسلام وغيرها من الأمم [١٨].

كما طبق النبيﷺ عدد من آليات التعارف التي لابد منها ليتم التعارف على أتم وجه، فمثلًا دعا إلى تعلم لغات غير العرب حتى يتعرف المسلم على ثقافتهم وعقائدهم، وينشئ حوارات بينه وبينهم كما حدث مع زيد بن ثابترضي الله عنه [١٩].

المطلب الثاني: التعارف بعد عهد النبيﷺ

بعد عهد الرسولﷺ، انتشار الإسلام في عددٍ من بقاع العالم، واتجه هذا الانتشار في نواحي المشرق والمغرب، فالتقى المسلمون بعددٍ من الديانات، وبعد مئاتٍ من السنين أصبح العالم الإسلامي شاسعًا واسعًا. ولاشك أنَّ الدولة الإسلامية بما قامت عليه من أسسٍ قرآنيةٍ تركت الناس يختارون عقائدهم، فمن رغب في البقاء على ديانته تَرَكَ له ذلك. كما أنَّ من الطبيعيِّ أنَّ الاحتكاك اليوميَّ لأبناء الدولة المسلمة يخلق جوًّا من الحوار والتعارف يُغني العقائد والثقافات، ويحرك الفكر باتجاهٍ أعمَّ وأعمق. وقد شهدت حركة التعارف بين المسلمين وغيرِهم من الشعوب درجةً بالغةً من الحيوية والنشاط منذ عهد الخلفاء

(١٨) انظر: منهج التعارف الإنساني في الإسلام، حسن الباش،ص٣٥-٣٩؛ الإسلام والآخر، محمد عماره،ص١٥٢

(١٩)انظر: منهج التعارف الإنساني في الإسلام، حسن الباش،ص٤٣

الراشدين ومرورًا بالعصرِ الأمويِّ فالعباسيِّ وعصر السلاطين من دويلاتِ الأيوبيين والمماليك، وصولًا إلى العصر العثماني. (٢٠)

أما عهد الخلفاء الرشدين فمليءٌ بالمواقف التي تؤكد على إيمانهم بقضية التعارف بين الديانات المختلفة؛ مثل قصة القبطيِّ مع ابن عمرِو بن العاص، والقبطية فرتونة التي أخذ المسلمون منزلها لبناء مسجدٍ، كما كُتبت الوثيقة العُمرية والتي تؤكد فيها حقوقهم. (٢١)

كما صدر من عبد الله بن عمر ما يؤكد تفهُّمه لفكرة التعارف، فقد كان إذا سلخ شاةً يبدأُ بجاره اليهوديِّ ويؤكد على ذلك مرارًا لأنه كان يؤمن بوصية النبيِّﷺ بالإحسان للجار بغضِّ النظر عن ديانته. (٢٢)

وفي العصرِ العباسيِّ برزت الترجمةُ من اللغة الفارسية والهندية واليونانية والسريانية إلى العربية، ونقْلُ العربي إلى هذه اللغات. وهذه الترجمة هيأتْ مئات المثقفين والأدباء والفلاسفة كي يطَّلعوا على ثقافات تلك الأمم ويحاوروا أصحابها في شتى مناحي الحياة العقدية والفكرية والفلسفية والأدبية . (٢٣)

كما كان لشيخ الإسلام ابن تيمية مع أسرى التتار ما يؤكد إيمانه بفكرة التعارف عندما أصرَّ على إطلاق من في أسر التتار من أهل الذمة مع إطلاق المسلمين، وقال لقائد التتار: لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهلُ ذمتنا ولا ندَعُ أسيرًا لا من أهل الذمة ولا أهل الملة. (٢٤)

المبحث الثالث: أهمية وأهداف التعارف بين المسلمين وغيرهم:

❁ **المطلب الأول : أهمية التعارف بين المسلمين وغيرهم:**

ومما يؤكدُ على ذلك ما يلي (٢٥):

١. أنَّ التعارف يتميز عن غيره بأنه مستمدٌّ من روح القرآن وتدبير خالق هذا الكون الذي يعلم ما تحتاجه البشرية وما يُصلِح حالهم.
٢. أنَّ التعارف من مقاصد بعض العبادات ؛ فمثلًا في الحج يتحقق معنى التعارف بين المسلمين وإن اختلفت اللغات والأوطان والمشارب، كما أنَّ التعارف من مقاصد صلوات الجمع والجماعات والأعياد.
٣. أنَّ التعارف يساعد على اكتشاف آيات الله وسننه في الآفاق.
٤. أنَّ التعارف من الأمور التي أكدت عليها مختلف الشرائع الدينية.

---

(٢٠)انظر: منهج التعارف الإنساني في الإسلام، حسن الباش،ص٤١-٤٢

(٢١) انظر: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي،إدوار غالي الدهبي،ص٩٨؛و دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية، ماجد المضيان، ص٣٦

(٢٢)انظر: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، إدوار غالي الدهبي، ص ١٠١

(٢٣)انظر: منهج التعارف الإنساني في الإسلام، حسن الباش،ص٤٢.

(٢٤)معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، إدوار غالي الدهبي، ص ١٠٣.

(٢٥) انظر: من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، حسن عزوزي؛و مقصد التعارف وأثره في تقوية النسيج الاجتماعي، إبراهيم مهنا، ص٥٣؛و تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري،ص٧٨؛و منهج التعارف الإنساني في الإسلام، حسن الباش،ص١٤-١٥؛

٥. أنَّ التعارف كمبدأٍ إنسانيٍّ حضاريٍّ سامٍ له أكبر الدور في منع النزاعات والصراعات، فهو يقرّب الأفكار والمسافات، ويُنسِج أواصر التعاون والتفاهم، ويهدف إلى بناء أسس حوارٍ حضاريٍّ مثمرٍ وبنَّاءٍ.
٦. أنَّ التعارف يعمل على نزع فتيل الحرب بين الأحقاد و الكراهيات والعصبيات بين الشعوب.
٧. أنَّ التعارف يقرب المسافات الفكرية والنفسية، فيجعل الجميع يلتقي عند نقطةٍ يحبونها.
٨. أنَّ التعارف يُكوِّن إطارًا أخلاقيًّا يضبط علاقات الناس و تواصلاتهم وتفاعلاتهم وحواراتهم بجملةٍ من القيم والأخلاقيات والمبادئ.
٩. أنَّ التعارف هو من الغايات و الأهداف على مستوى الحياة الدنيا، وعلى مستوى رضا الله سبحانه والآخرة والسعادة الأبدية الخالدة .
١٠. أنَّ التعارف يعد قيمة أساسية من قيم عالمية الإسلام وخصائصه العامة الأخرى ، فإذا كان الإسلام عالميًا وواقعيًا وميسرًا ومتكاملًا ومتوازنًا فإن هذه العالمية لا يمكن أن تتجسد على حقيقتها ، و لا يمكن أن تمارس حق ممارستها إلا في ظل إطار التعارف الإسلامي الذي يدعو إلى عدد من القيم والمبادئ.
١١. لا يوجد شعب لم يعاني من مشاكل أو يعيش حرب نفسية أو اجتماعية ، فالتعارف يعطي ويأخذ ، ويفيد ويستفيد مما يساعد على انتشار العمران والحضارة والفنون داخل الأمم .
١٢. وصول الأمة إلى حافة الهاوية في مجال العنصرية والاستعلاء والأنانية، فلابد من الرجوع للتعارف لانتشالها من هذه الهاوية.

❁ **المطلب الثاني: أهداف التعارف بين المسلمين وغيرهم :**

يهدف التعارف إلى تحقيق ما يلي:

١. التقارب والتسامح؛ فالتعارف الإيجابيُّ هو الذي يبذل فيه كلُّ طرفٍ أقصى جهوده للتعرف على ما يُقربُهُ من الطرف أو الأطراف الأخرى . فيبحث القائمون بالتعارف والتحاور في ثقافاتهم وحضاراتهم عما يُقرب بينهم، وعن كلِّ ما هو إنسانيٌّ ومعبِّرٌ عن جوهر الإنسان وفطرته.
٢. فكُّ عقدة الهيمنة، وتجاوز عقيدة الصراع، إذ إنَّ من العناصر المكينة التي انبنت عليها الحضارة الغربية الحديثة الصراع والهيمنة، فأنتجا كلَّ أشكال الإذلال والاستعباد والحركة الاستعمارية.
٣. معرفة الآخر على حقيقته، وتصحيح الصورة المسبقة عنه، فكثيرًا ما رسمت الحضارات صورًا نمطيةً لغيرها من الحضارات، فلا تنظر إليها إلا من خلال تلك الصور، وتُخضع حسابات التعامل معها لمقتضاها. فالتعارف سيؤدي خدمةً جليلةً للإنسانية، فيتعرَّف كلٌّ على صورة الآخر كما هي.
٤. تشجيع فكرة الانتفاع المتبادل من خيرات الأرض من خلال فكرة التعاون، فالرؤية الإسلامية لهذا الهدف تنطلق من عقيدة أنَّ الله تعالى لم يخلق الأرض لنقتتل عليها ونسفك الدماء، بل خلقها لنرتفق خيره ونشكره. فلا يختصُّ فريقٌ بخير إقليمٍ ويُحرم منه غيره، فإذا كانت الأرض مختلفةً فيما تنتجه فالإنتاج كلُّه للإنسانية كلِّها، ولا سبيل لذلك إلا بالتعاون والتعارف الإنساني.
٥. احترام الخصوصيات الحضارية، فيعرض كلُّ فريقٍ بدقةٍ وعمقٍ خصائص ومميزات حضارته، وفلسفته في الحياة، ورؤيته للقضايا الكبرى، سواءٌ ما شغل منها الإنسان منذ القدم أو ما تبِع تعقيدات الحضارة المعاصرة، كقضايا حقوقِ الإنسان وغيرها . فتُعمِّق مختلف الرؤى والتصورات حول هذه القضايا، وتعطي علاجًا مفيدًا مناسبًا لها . كما تزيد الخصوصيات الحضارية وضوحًا لدى المتحاورين والمتعارفين، وتبين الوزن الثقافيَّ والحضاريَّ لكلِّ ثقافةٍ وحضارةٍ من زاويةٍ إنسانية .

المبحث الرابع: ضوابط وأسس التعارف بين المسلمين وغيرهم:

المطلب الأول: ضوابط التعارف بين المسلمين وغيرهم[٢٦] :

١. المجادلةُ والحوارُ بأسلوبٍ يتناسبُ مع طبيعةِ المُحاوَر، قال تعالى **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** العنكبوت :٤٦

٢. أن يكون منطَلَقُ هذا التعارفِ من نِدِّيَّةٍ كاملةٍ بين الطرفين حتى يتبينَ الحقُّ وأصحابُه .

٣. أن يسعى المسلمون من خلال هذا التعارفِ إلى تبليغِ الدينِ للناس كافةً وتعريفِهم به .

٤. أن يحرصَ على معرفةِ ما عند الآخر من علمٍ ونفعٍ، لقوله ﷺ « الحكمةُ ضالةُ المؤمنِ، فحيثُ وجدَها فهو أحقُّ بها ». [٢٧]

٥. أن يبتعد المسلم الذي ليس لديه قوةٌ في دينه وفهمه عن كلِّ ما يخاف منه على دينه وعقيدته.

٦. أن يكون الحوارُ مع الآخر مبنيًّا على الحوار البناء، بعيدًا عن التعصب للرأي الشخصيِّ الذي قد يصيب وقد يُخطأ، وأن ينطلق الحوار من الأمور المشتركة، وأن يترك لغيره التوصُّل إلى الحق والاعتراف ، وأن يعمل بوصية الله في قوله: **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**. سبأ:٢٤

٧. أن يقتنع المتبني لمبدأ التعارف برسوخ الإيمان وقوة الاقتناع بأنَّ الإسلام وحده هو الدين الحقُّ، وأنَّ هدفه من ذلك هو حبُّ الخير للجميع .

٨. أن يُبنَى النقاش والتعريف على الأدب، فيراعي مشاعر غير المسلمين، بعدم إيذائهم بالقول أو الفعل، لأنَّ من المنهيِّ عنه شرعًا سبَّ معتقداتهم والاستهزاء بما يدينون به سدًّا للذريعة.

٩. أن لا يتنازل عن شيءٍ من أساسيات الدين إرضاءً للطرف الآخر ورغبةً في الاتفاق معه.

المطلب الثاني: أسس التعارف بين المسلمين وغيرهم:

١. الإنسانية : [٢٨]

أقرَّ الإسلام بوحدة الأصل الإنساني، فالله سبحانه وتعالى في آية الحجرات توجَّه للنوع الإنسانيِّ في عمومه بالنداء ، كما أكد بأنَّ الناس كلَّهم من أصلٍ واحدٍ، من سلالة آدم عليه السلام الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وندبه وذريته من بعده إلى عمارة الأرض بمنهج الله ووفق هذه الغاية كرَّم الله الجنس البشريَّ على سائر المخلوقات. قال **تعالى وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا الأسراء: ٧٠.**

إنَّ الإسلام جعل للإنسان طبيعةً مكرمةً مستمدةً من كونه خليفة الله، وهذا التكريم مطلقٌ، لا يتقيد بجنسٍ أو مكانةٍ إجتماعية، إنما هو تكريمٌ للإنسان أيًّا كان دينُه أو جنسُه أو لونُه، وهذه الكرامة المقررة توجب لكلِّ إنسانٍ حقَّ الاحترام والرعاية، ففي الحديث أنَّ سهل بن حنيفٍ وقيس بن سعدٍ كانا قاعدين

---

(٢٦) انظر: مفهوم التعارف بين مقصدي الخلق والتشريع، كلثومة دخوش، ص ١٩؛و أوضاع غير المسلمين في الدولة الإسلامية، أبو الحسن علي السماني،ص٥٤

(٢٧) أخرجه الترمذي في سننه أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العباده،ح ٢٦٨٧، الحكم على الحديث: ضعيف

(٢٨)تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري،ص٩٨-١١٧؛و حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزئية وتطبيقاتها في المملكة ، فهد المسعود ،ص١٢٢؛وتعاليم إسلامية لجذب غير المسلم إلى الإسلام ،وليد أحمد عويضه،ص١٢١٢؛و أوضاع غير المسلمين في الدولة الإسلامية، أبو الحسن علي السماني،ص١٤٦.

بالقادسية، فمروا عليهما بجنازةٍ فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهلِ الذمة، فقالا: إنَّ النبي ‘ مرت به جنازةٌ فقام. فقيل له: إنها جنازةُ يهوديٍّ، فقال: «أليست نفسًا». (٢٩)

كما عظَّم الإسلام الإعتداء على النفس الإنسانية بأيِّ طريقةٍ كانت، فاعتبر أنَّ الإعتداء على نفس أيِّ إنسانٍ اعتداءٌ على الإنسانيةِكلِّها، كما جعل إنقاذ أيِّ نفسٍ إنقاذًا للجميع . كما حرَّمَ الإعتداء اللفظيَّ حتى على غير المسلم، فقد سُئل عبد الله بن وهبٍ عن غيبة النصراني، فقال: أوليس من الناس؟ قالوا: بلى، قال: فإنَّ الله قد قال **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**البقرة:٨٣

٢ . حرية العقيدةِ والتدين: (٣٠)

وهب الله عز وجل للإنسان العقل ليميز به بين الحقِّ والباطل، وبموجبه وهبه الحرية والإرادة الحرة لاختيار ما يشاء، فالإنسان يختار ما يشاء من المعتقد ثم يحاسب على اختياره يوم القيامة، فلكلِّ ذي دينٍ دينه ومذهبه، وقد أسس الله لذلك في محكم كتابه فقال **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**البقرة:٢٥٦.

يقول سيد قطب:" وفي هذا المبدأ يتجلَّى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختصُّ بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخصُّ خصائص التحرر الإنساني" .

أما عن الواجب تجاه المخالف فهو يتركز في دعوتهم، وطلب أسباب هدايتهم، فتقتصر مهمته على البلاغ والدعاء لهم، أما الهداية والتوفيق فهي من عند الله . لأنه يوقن أنَّ مشيئة الله لا رادَّ لها ولا مُعقِّب، كما أنه لا يشاء إلا ما فيه الخير و الحكمة . علم الناس ذلك أو جهلوه، ولهذا لا يُجبِر الناس ليصيروا كلهم مسلمين.

كما ورد تأكيدُ هذا المبدأ على لسانِ النبيﷺفي عهدِه لليهودِ في المدينة، ذكر فيه أن للمسلمين دينهم ولليهود دينهم، وفي كتابه إلى أهل اليمن ذكر إنه من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُفتن عنها، وعليه الجزية. وقد التزم الصحابة بذلك، فنجد أنَّ عمر بن الخطابﷺ قال لعجوزٍ نصرانيةٍ: أسلمي تسلمي، إنَّ الله بعث محمدًاﷺ بالحق قالت: أنا عجوزٌ كبيرةٌ، والموت أقرب إليَّ، فقال عمر: اللهم اشهد، وتلا قوله تعالى **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** [سورة البقرة:٢٥٦].

وكما سمح لهم الإسلام بالحرية في الدخول في الإسلام سمح لهم أيضًا بحرية ممارسة عباداتهم وعقائدهم، وأن لا يتعرض أحدٌ لدور عبادتهم بالهدم أو التدمير، حتى إنه ورد عن بعض الفقهاء أن لا يضايق إذا مارس شيئًا من عباداته المسموحة في دينه إذا كانت مخالفةً لما ورد عند المسلمين بشرط أن لا يُظهرها، أو يُضِرُّوا المسلمين في ذلك .

---

(٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي،ح١٣١٢.

(٣٠) انظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، يوسف القرضاوي،ص١٤؛و غير المسلمين في المجتمع المسلم، منقذ السقار،ص٩-١١؛و حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزئية وتطبيقاتها في المملكة ، فهد المسعود ،ص٨٨؛و الموجز في معاملة غير المسلمين، مجلس المجمع الملكي،ص٦٥.

٣. حتمية الاختلاف وطبيعته: [٣١]

الاختلاف في الألوان واللغات آيةٌ من آيات الله تعالى، وسنةٌ من سننه الكونية، وقع بمشيئته سبحانه، قال تعالى: **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ الروم**: ٢٢ . كما أنَّ اختلاف البشر في شرائعهم هو أيضًا واقعٌ بمشيئة الله تعالى، ومرتبطٌ بحكمته، يقول الله تعالى **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** المائدة: ٤٨ ، قال ابنُ حزم: وقد نصَّ تعالى على أنَّ الاختلاف ليس من عنده، ومعنى ذلك أنه تعالى لم يرض به، وإنما أراده تعالى إرادة كونٍ، كما أراد الكفر وسائر المعاصي.

و هذا التنوع والانقسام والاختلاف لا يعني إلغاء وحدة الأصل الإنساني، كما أنَّ وحدة الأصل الإنسانيِّ لا تعني إلغاء التنوع بين الناس، ومن بلاغة القرآن الكريم تقديم وحدة الأصل على قاعدة التنوع، لكي يكون التنوع متفرِّعًا عن الأصل، فلا ريب أنَّ التنوع ضروريٌّ لتحقيق التعارف الذي هو مقدمةٌ للتعاون البنَّاء، ولتحقيق أهداف الخَلق الإنسانية، وهو أدعى للتنافس في الخير لتحقيق الدفع التكامليِّ المطلوب بما فيه التسخير المتبادل للطاقات والتعاون اللازم، ثم إنَّ هذا التنوع لابد وأن يعنى الاعتراف بتنوع الرُّؤى والمواقف والمذاهب.

٤. العدل: [٣٢]

الإسلام هو دين العدل والإنصاف، فقد نهى الإسلام عن الظلم حتى وإن كان لشخص غير مسلم، قال تعالى **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ المائدة:** ٨ .وقال ﷺ «دعوة المظلوم _وإن كان كافرًا– ليس دونها حجاب » [٣٣] ، كما خصَّت أحاديث بالتحذير من ظلم المعاهد، قال رسول اللهﷺ «ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسٍ، فأنا حجيجُه يوم القيامة» [٣٤]،كما سن الإسلام قوانين تحقِّق العدل بين المسلمين وغيرهم في حال السلم والحرب.

كما وردت عددٌ من القصص التي تؤكدُ إنصاف المظلوم غير المسلم على المسلمين، كما وقع في قصة القبطيِّ، ودرع عليٍّ مع اليهوديِّ، والأشعث واليهودي.

ولا يُشترط أن يكون الحاكمُ مسلمًا، يقول الزهريُّ في قوله تعالى **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ**

---

(٣١) انظر: تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري،ص٩٧-١٢١؛و غير المسلمين في المجتمع المسلم، منقذ السقار،ص٩-١٠؛و غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، يوسف القرضاوي،٤٤.

(٣٢) انظر: التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، ناصر جاد،ص٦٧؛و غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، يوسف القرضاوي،ص٣٢-٤٤؛ التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات، وليم سليمان قلادة وأخرون،ص٦٦؛و حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزئية وتطبيقاتها في المملكة ، فهد المسعود ،ص ٥٠؛و حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام ، صالح العيد،ص٥١-٥٥.

(٣٣) صحيح الترغيب والترهيب ، محمد الألباني، كتاب القضاء وغيره، باب الترهيب من الظلم،ح٢٢٣١،الحكم على الحديث : حسن لغيره

(٣٤) أخرجه أبو داوود في سننه ،كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة ،ح ٣٠٥٢، الحكم على الحديث: صحيح.

بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ المائدة: ٤٢." مضت السُّنة أن يرَدُّوا في حقوقهم ومواريثهم إلى أهل دينهم، إلاَ أن يأتوا راغبين في حدٍّ فنحكم بينهم بكتاب الله" .

٥. الأمان: (٣٥)

لقد وضع الإسلام قواعد محكمةً لكفالة الأمن والسلام، ليس بين المسلمين فحسب، بل بين المسلمين وجيرانهم من غير المسلمين، فأصبح الإسلام بحقٍّ دين الأمن والسلام الذي يحفظ عليهم حقوقهم من أيِّ عدوانٍ داخليٍّ أو خارجي ، فتقوم الدولة الإسلامية بحمايتهم لأنَّ لهم من الحقوق العامة ما للمسلمين، بل يلزم الدفاع عنهم مما يؤذيهم، والقتال دونهم وفكُّ أسرهم من الأعداء.

كما حفظ الإسلام الحقوق الأساسية للإنسان في الحياة التي لا غنى له عنها، وهي النفس، والدم والمال والعرض، والعقل، ويستوي في هذه الحقوق المسلم وغير المسلم، سواءٌ أكان مواطنًا أم وافدًا، فهي حقوقٌ وحرماتٌ معصومةٌ، لا تُنتهَك إلا بسببٍ شرعيٍّ، مثلهم في ذلك مثل المسلمين ؛ فلا يصحُّ إزهاق أرواحهم إلا قصاصًا، أو حدًّا على عقوبةٍ.

٦. الروابط الاجتماعية : (٣٦)

من الفطرة أنَّ المخلوقات المكلفة تعيش شبكةً من الروابط الموروثة والمكتسبة، وكلُّ رابطةٍ تقتضي أن يكون بين أفرادها نوعٌ من التعاون والتشارك والترابط، فالإنسان كائنٌ اجتماعيٌّ لا يستطيع العيش بمفرده، لذا عمل الإسلام على تقوية الروابط الإنسانية وضبطها بما يحفظ حقوق كلِّ الأطراف.

ومن الروابط الموروثة رابطةُ الرحم، وهي تتفرع عن الرابطة الإنسانية، وتمثِّل حلقة أضيق منها وأقوى تأثيرًا على حياة الفرد، وهي أيضًا تمثل الأصل الواحد، والتنوع، ثم الحاجة إلى التعاون . والإسلام لا يعترف بأهمية هذه الرابطة فحسب؛ بل يحثُّ على مراعاة حقوقها والعمل على تقويتها وتنميتها بما يناسب طبيعتها، ولا يؤثر على الديانة الإسلامية، فقد أمر الله بحسن الصحبة للوالدين وإن كانا على غير ملته، فقد جاءت أسماء بنت الصديق إلى رسول اللهﷺ، فقالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك» (٣٧).

كما تُشرع النفقة على الأب الكافر والأمِّ الكافرة، وإسقاط الدَّين عن الأقارب. يقول عبد الله بن مروان: قلت لمجاهد: إنَّ لي قرابةً مشركةً، ولي عليه دينٌ، أفأتركه له ؟ قال: نعم، وصِلْهُ .

ومن الروابط أيضًا رابطةُ الجوار، فقد أوصى النبيُّﷺ بحقوق الجار ولو كان على غير الإسلام، ، وأخبر أن لهم حقوق وجعلهم على ثلاثة مراتب، فمنهم من له ثلاثة حقوقٍ، ومنهم من له حقانِ، ومنهم من له حقٌّ ؛ فأما الذي له ثلاثة حقوقٍ فالجار المسلم القريب له حقُّ الجار، وحقُّ الإسلام وحقُّ القرابة، وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حقُّ الجوار، وحقُّ الإسلام، وأما الذي له حقٌّ واحدٌ فالجار الكافر له حق الجوار.

كما حثَّ الإسلام على عيادة المرضى غير المسلمين، فقد عاد النبي ‘ عمَّه أبا طالب في مرضه، وعاد أيضًا جارًا له من اليهودِ في مرضه.

---

(٣٥) انظر: التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، ناصر جاد، ص٩١؛و حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام ، صالح العيد،ص٥٩؛و حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزئية وتطبيقاتها في المملكة ، فهد المسعود ،ص٦٧

(٣٦) انظر: حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، سعيد إسماعيل الصيني، ص٥٥-٥٨؛و غير المسلمين في المجتمع المسلم، منقذ السقار،ص٢٤-٢٧؛ و التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، ناصر جاد،ص٨٧

(٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين، ح٢٦٢٠

أما حقُّ الضيف فقد رأى الفقهاءُ وجوبها لكلِّ ضيفٍ؛ سواءٌ كان مسلمًا أم غير مسلم، فقد قال النبيﷺ « ليلةُ الضيف حقٌّ واجبٌ على كل مسلم »[٣٨]، فدلَّ على أنَّ المسلم والمشرك مضافٌ، فيعمُّ الحديث المسلم والكافر، فيتمُّ إكرامُ الضيف على قدر الإستطاعة، وقد صنع النبيُّﷺ ، ذلك عندما جاءه عديُّ بنُ حاتم .

كما أنَّ من صور التعارف التي تُكسب القلوب وتُزيل الشحناء؛ الهدية، وقد أهدى النبيﷺ إلى مخالفيه في الدين، وقبل منهم الهديةَ، فقد قبل النبيُّ ﷺ من أبي سفيان تمر عجوةٍ وهو بمكة، كما قبل هدايا الملوك.

٧. حرية العمل والتكسب: [٣٩]

لغير المسلمين حرية العمل والكسب بالتعاقد مع غيرهم، أو بالعمل لحساب أنفسهم، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة، ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الإقتصادي، شأنهم في ذلك شأن المسلمين . فقد قرر الفقهاء أنَّ أهل الذمة في البيوع والتجارات وسائر العقود والمعاملات كالمسلمين، ولم يستثنوا من ذلك إلا ما حرَّمه الشرع كعقود الربا أو بيع ما هو محرمٌ، فإنها حرامٌ عليهم كالمسلمين.

لكنَّ هناك بعض الوظائف التي لا يكلَّف بها غير المسلمين؛ مثل الخلافة والإمامة، فلا يتولاها إلا مسلمٌ، لأنها خلافةٌ عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا، كذلك وظيفةُ رئيس الدولة لأنه يقوم مقام الخليفة، كذلك الإمارة على الجهاد، لأنَّ الجهاد عبادةٌ، وله غايةٌ وحكمةٌ، مما يتعذر على غير المسلمين توليها أما ماعدا ذلك من الوظائف فيصحُّ لهم توليها.

٨. حسن العشرةِ والمعاملة الحسنة: [٤٠]

أمر الله في القرآن ببرِّ المخالفين في الدين، الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، فقال تعالى **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ الممتحنة:** ٨ قال الطبري: عنى بذلك: لا ينهاكم اللهُ عن الذين لم يقاتلوكم في الدينِ من جميع أصناف الملل والأديان أن تبَرُّوهم وتَصِلُوهم وتقسطوا إليهم . فهذه الآية تُعدُّ أساسًا تُبنى عليه علاقة المسلمين بغيرهم، فالبِرُّ والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعًا، ولو كانوا كفارًا بدينه، ما لم يقفوا في وجهه ويحاربوا دعاته ويضطهدوا أهله، لأنَّ الإسلام يسعى لإقامة علاقةٍ بين أبناء المسلمين وبين مواطنيهم من غير المسلمين على أُسسٍ وطيدةٍ من التسامح والعدالة والبرِّ والرحمة، وهي أُسسٌ لم تعرفها البشريةُ قبل الإسلام.

---

(٣٨)أخرجه أبو داوود في سننه ،كتاب الأطعمة، باب ما جاء فالضيافة،ح٣٧٥٠، الحكم على الحديث:صحيح.

(٣٩) انظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، يوسف القرضاوي،ص١٦؛و دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية ، ماجد المضيان،ص٣٨

(٤٠) انظر: تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري،ص١٢٢؛و غير المسلمين في المجتمع المسلم، منقذ السقار،ص٢٣؛و غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، يوسف القرضاوي،ص٤؛و حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزئية وتطبيقاتها في المملكة ، فهد المسعود ،ص١٢٤-١٢٥

والبرُّ أعظم من المعاملة الحسنة، وفي ذلك يقول القرافي: المراد بالبر هنا (الرفق بضعيفِهم، وسدُّ خُلةِ فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم –على سبيل التلطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة –واحتمالُ أذيَّتِهم في الجوار –مع القدرة على إزالته– لطفًا منَّا بهم، لا خوفًا ولا طمعًا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرَّض أحدٌ لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على رفع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم ....)

وفي قوله تعالى **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا الإنسان:** ٨، قال أبو عبيد: يعني أنَّ اللهَ تبارك وتعالى قد حمد على إطعام المشركين، وربما أنه لم يكن الأسير آنذاك إلا من المشركين.

المبحث الخامس : معوقات وثمرات التعارف بين المسلمين وغيرهم :

المطلب الأول: معوقات التعارف بين المسلمين وغيرهم:

تقف كثيرٌ من الموانعِ في وجهِ تطبيقِ التعارفِ والإستفادةِ منه على أكمل وجه، ومن ذلك [٤١]:

١. البعد النفسيُّ والحاجز المصطنع بسبب سوء فهم كلِّ طرفٍ للآخر، وبناء أفكارٍ مسبقةٍ غيرِ صحيحةٍ ، و حتى ينكسر هذا الحاجزُ النفسيُّ لابد أن ينظر كلُّ طرفٍ للآخر نظرةً موضوعيةً، ويفحص بدقةٍ الأسس التي بَنى عليها كلُّ فكرٍ مبدأه ليصل لتصورٍ صحيحٍ عن كلِّ فكرٍ وحضارةٍ.
٢. النظرةُ السيئةُ للإسلام على أنه دينُ إرهابٍ وقتلٍ ودمارٍ، أو أنَّ المسلم شخصٌ متعصبٌ متذمر.
٣. تعظيم الغرب لأنفسهم، فيرى بعضهم بأنها عرقٌ أسمى، لذا لا يؤيدون الاحتكاك والاندماج مع عددٍ من العروق، وخاصةً المسلمين والعرب.
٤. النظر للغربي بأنه شخصٌ مستهترٌ بالقيم، لا يفرِّقُ بين حدود الحلال والحرام، ولعل بعض المناظر غير الأخلاقية هي التي أدَّت إلى نشوء هذه النظرة عن الغرب، فليس في واقع الأمر ما هو كُلِّيٌّ أو تعميميٌّ، فالمفترض على الإنسان أن يحكم على الأمور بما هي عليه، وليس بفكره المسبق.
٥. ظهور بعض المفاهيم المنحرفة، مثل العنصرية والإرهاب والتعصب الدينيِّ والإرهاب، وحروب الإبادة، والعولمة، وهذه المفاهيم ليست مفاهيم نظريةً، بقدر ما هي مفاهيم تتبناها مجموعاتٌ بشريةٌ أو بعض سياساتٍ دوليةٍ.
٦. الجهل بمقومات الحضارة الإسلامية وروحها السمحة ودعوتها السلمية والمبادئ التي تدعو إليها.
٧. فهم آيات القرآن بشكلٍ سطحيٍّ متسرعٍ، مما يولد كثيرًا من الشُّبه ويثيرها، بالإضافة إلى رجوعهم لكتابات بعض المنحرفين .
٨. فهم بعض الأشخاص لفكرة التعارف أنها تُبنى على تمييع الإسلام وقبول ما عند الغرب مما يجعل بعض المتمسكين بالدين الإسلاميِّ يرفض هذه الدعوى.
٩. تضخيم الذات الحضارية، وذلك بادعاء التفوق الحضاريِّ، مما يجعلهم ينظرون بشيءٍ من التفوق الباهر والاعتزاز والتفاخر بحضارتهم بدل التعارف مع الحضارات الأخرى.
١٠. نظريات الصراع والصدام، والتي ظهرت في بعض المناطق إما كتلبيةٍ لرغبة طغيانٍ سياسيٍّ أو عسكريٍّ أو ماليٍّ، والتي تسعى بعض الدول للترويج لها خاصةً بين سكان العالم الإسلامي.

---

(٤١) انظر: منهج التعارف الإنساني في الإسلام، حسن الباش،ص٨١-٩٣؛و من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، حسن عزوزي؛ و تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري،ص١٠٨-١١٠؛و التعارف والتعايش بين الإسلام والمسيحية ضرورة للسلام العالمي، محمد الجمالي، ص١٠

١١. هيمنةُ السياسية على مجال العلاقات الدولية، فاصطبغت علاقات الحضارات فيما بينها بهذه المبادئ والمفاهيم السياسية على حساب القيم العليا الإنسانية.
١٢. عدم معرفتنا بعضنا البعض الآخر معرفةً تامةً صحيحةً ونزيهة: فتقتصر معرفته على بيئته وعقيدته، دون النظر والتعرف على الأديان الأخرى.
١٣. التعصب الدينيُّ أو المذهبيُّ، والذي يدفع بعض المتحمسين لنشر دينه أو مذهبه في المجتمعات التي لا تدين بدينه بطريقةٍ خاطئةٍ مما يُسيءُ للدين، وينفِّرُ منه .
١٤. الاستعمار، والذي كوَّن ترسباتٍ في العلاقات بين المسلمين والنصارى .
١٥. أخطاء الإعلام والثقافة، فبعض وسائل الإعلام وبعض المؤلفات التي يتولاها جهلةٌ قد تثير حفيظة بعض الجهات الدينية أو تلك فيما تكتب وما تذيع وما تصوِّر، مما يزيد من الفجوة والصدِّ عن التعارف بين أصحاب هذه الأديان.

المطلب الثاني: ثمرات التعارف بين المسلمين وغيرهم [٤٢] :

١. المحافظة على كيان الأسرة التي تضمُّ بين أفرادها أناسًا ليسو مسلمين، مما يؤثر على الحياة الاجتماعية.
٢. نشر الدين وتوضيح سماحته وتشريعاته، ولذلك قال تعالى **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ** التوبة:٦
٣. إحقاق الحقوق المشروعة للشعوب في العيش بكرامةٍ وحريةٍ في أوطانها دون إعتداءٍ أو استعمارٍ أو احتلال .
٤. تخفيف التوتر الدوليِّ والعداء بين الشعوب، كما يوحد البشرية تجاه الأفكار العنصرية والحروب الظالمة .
٥. التخفيف من معاناة الشعوب الفقيرة، وذلك بالمساعدة على القضاء على الجهل والفقر والمرض والأمية، ورفع مستوى الصحة والتعليم والثقافة.
٦. نزع فتيل الأحقاد والنزاعات والتعصب، لأنه يقرِّب الأفكار والمسافات، ويَنسُج أواصر التعاون والتفاهم.
٧. تبادل العلوم والمعارف دون احتكارها، والتعاون المشترك على فضِّ مغاليق الحياة والكون المادية والمعنوية، وارتياد أفاق البحث والتجريب.
٨. كسب عددٍ من الأشخاص المخالفين لنا في الدين إلى صفِّنا، أو تحييدِهم على الأقل، مما يُضعف من جبهة الخصم ويُقوِّي موقف المسلمين.
٩. الاستفادة مما لدى غيرنا من جوانب التقدم الحضاريِّ، وأن تكون هذه الاستفادة بوعيٍ بترك ما فيه سلبيةٌ وضررٌ.

---

(٤٢) انظر: نهج القرآن في التشريعات المتعلقة بغير المسلمين، إبراهيم الكبيسي،ص٢٢؛و منهج التعارف الإنساني في الإسلام، حسن الباش،ص١٣٦؛ و من المفاهيم الحضارية للعلاقات بين الأمم التعددية والتعارف والحوار والتدافع والإنسان، مدحت ماهر الليث،ص٦٢؛و من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، حسن عزوزي، مفهوما التعارف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي،عبد العزيز برغوت، إسلامية المعرفة،العدد ٣٦، ١٤٣٢هـ ٨٠

١٠. الوقوف صفًّا واحدًا ضدَّ ألوان الفساد التي ظهرت في الوقت الحاضر، والتي لم تخطُر مفاسدها على بال أحدٍ.

وختامًا: أرجو أن أكون قد وفقت في حسن العرض والطرح . وقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى عدة نتائج منها :

١. تضمين آيات سورة الحجرات لأبرز الأسس التي قام عليها التعارف مع غير المسلمين.
٢. بالرغم من أهمية التعارفِ إلا أنه لابد من الإلتزام بالضوابط حتى لا يخرج عن الطريق السليم.
٣. أنَّ الإسلام لا يكره أحدًا على الدخول فيه، فهذا يتنافي مع جوهره، ولن تتحقَّق الفائدة لأتباعه بهذه الطريقة.
٤. تحسين وضع المجتمع عند تمسكه بالتعارف مع غير المسلمين، لأنَّ هذا سيقلل من مشكلاته، وسيساعده على التطور والإستفادة من الخبرات المختلفة.
٥. من الأسس المهمة التي يقوم عليها التعارف (وحدة الإنسانية ، وحرية العقيدة ، والعدل والأمان)

أما عن أبرز التوصيات فهي كما يلي:

١. تكثيف الأنشطة التي تسعى إلى نشر ثقافة التعارف مع غير المسلمين وتُعرِّف به.
٢. إنشاء مراكز بحثيةٍ عالميةٍ تضمُّ الخبرات والكوادر الإسلامية من مختلف البلدان لوضع الخطط والإستراتجيات لنشر وتطبيق ثقافة التعارف.
٣. إعداد دعاةٍ مؤهلين يعرفون حقوق غير المسلمين، ويكونون بعيدين عن التعصب والتطرف.

وفي نهاية هذا الجهدِ المتواضع أرجو أن يكون بحثي قد استوعب ولو جزءًا يسيرًا مما شمله عنوان البحث، وأن أكون قد وُفقتُ في تغطيةِ جوانبه، وحسن تقسيمه وعرضه.

والحمد لله رب العالمين.

المراجع

- القرآن الكريم .
- الإسلام والآخر، محمد عماره، مكتبة الشروق الدولية، د.ط،د.ت
- أوضاع غير المسلمين في الدولة الإسلامية، أبو الحسن علي السماني، المركز العالمي للدراسات والبحوث، الخرطوم،ط١٤٢٦،١ه=٢٠٠٥م
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي ، تحقيق:مجموعة من المحققين،دار الهداية، د.م، د.ط،د.ت
- التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات، وليم سليمان قلادة وأخرون، اتحاد المحاميين العرب،د.م،ط١ ، ١٩٨٦م
- تعارف الحضارات ، زكي ميلاد وصلاح الجوهري، دار الكتاب ، القاهرة ، ط١٤٣٥،١ه=٢٠١٥م
- التعارف والتعايش بين الإسلام والمسيحية ضرورة للسلام العالمي، محمد الجمالي، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، ١٩٩٢م
- تعاليم إسلامية لجذب غير المسلم إلى الإسلام ،وليد أحمد عويضه،مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر،جامعة غزة،١٤٢٦ه=٢٠٠٥م

- التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي،ناصر جاد، دار الميمان ، الرياض،ط١، ١٤٣٠ه=٢٠٠٩م
- حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزئية وتطبيقاتها في المملكة ، فهد المسعود ، رسالة ماجستير بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤٢٤ه=٢٠٠٣م
- حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام ، صالح العيد، دار اشبيليا، الرياض،ط٣ ، ١٤٢٣=٢٠٠٣
- حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، سعيد إسماعيل الصيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط،د.ت
- دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية ، ماجد المضيان، دار الهدي النبوي ، مصر، د.ط، ١٤٢٨=٢٠٠٧
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،بيروت،د.ط،د.ت
- صحيح الترغيب والترهيب،محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف، الرياض ،ط١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠م
- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، يوسف القرضاوي، مرجع إلكتروني،
- غير المسلمين في المجتمع المسلم، منقذ السقار، مرجع إلكتروني
- لتعارفوا، يحيى رضا جاد، مجلة المسلم المعاصر، العدد١٥٢، السنة ٣٨، ٢٠١٤م
- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى، تحقيق:الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر ، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م
- معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، إدوار غالي الدهبي، مكتبة غريب، مصر، ط١،١٩٩٣م
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، د.م، ط١،١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأخرون، دار الدعوة، د.م، د.ط،د.ت
- مفهوم التعارف بين مقصدي الخلق والتشريع، كلثومة دخوش، أعمال الندوة العالمية الدولية، مقاصد الشريعة والسياق الكوني، الرابطة المحدية للعلماء، المغرب،٢٠١٢م
- مفهوم التعارف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي ، عبد العزيز برغوت، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد٦٣، السنة السادسة عشرة، ١٤٣٢ه=٢٠١١م
- مقصد التعارف وأثره في تقوية النسيج الاجتماعي، إبراهيم مهنا، مجلة الوعي الإسلامي،العدد٥٩١،١٤٣٥ه=٢٠١٤م
- من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، حسن عزوزي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد٤٠٦ ، ١٤٢٠ه=١٩٩٩م
- من المفاهيم الحضارية للعلاقات بين الأمم التعددية والتعارف والحوار والتدافع والإنسان، مدحت ماهر الليث، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٣٧-١٣٨، السنة الخامسة والثلاثون، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م
- منهج التعارف الإنساني في الإسلام، حسن الباش، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ط١، ٢٠٠٥م
- الموجز في معاملة غير المسلمين، مجلس المجمع الملكي، مؤسسة آل البيت، عمان، د.ط، ١٩٩٤م

- نهج القرآن في التشريعات المتعلقة بغير المسلمين،إبراهيم الكبيسي، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، بغداد، ١٤٣٠